﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦﴾ [آل عمران: 66]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

إنكارُ المُحاجَّة وذَمُّـهـا مـمَّـن ليس له عِلْمٌ

هناك مناسبة بين مضمون الآية السّابقة، حول محاججة أهل الكتاب في إبراهيم، الّذي عاش قبل نزول التّوراة والإنجيل، فجاءت هذه الآية الكريمة لتُنكرَ على من يُحاجُّ فيما لا علمَ له به، لأنَّ اليهود والنَّصارى تَحاجّواْ في الخليل إبراهيم، بلا أثارة من علم، ولا سند من تاريخ موثوق، ولو تحاجّوا فيما بأيديهم منه علمٌ؛ ممَّا يَتعلَّق بأديانهم الّتي شُرِعَت لهم إلى حينِ بعثة محمَّدٍ ﷺ، لكان أَولَى بهم، وإنَّما تَكَلَّمواْ فيما لا يعلمون، فأنكر الله عليهم ذلك، وأَمرَهم بردِّ ما لا علمَ لهم به، إلى عَالِمِ الغَيبِ والشَّهادةِ، الّذي يُحيط علمُه بالأمور، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿حَٰجَجۡتُمۡ﴾ أي: جادَلتُم، وخَاصَمْتُم؛ ويُسَمَّى الجدالُ بِحُجَّةٍ أو شبهةٍ: حِجاجًا؛ لأنَّ صاحبَ الشُّبهةِ يُوهِمُ أنَّ معه حُجَّةً[2]، "تقول حاجَّهُ فحجَّه، أي غلبه بالحُجَّةِ، وفي المثل: (لَجَّ فَحَجَّ)، وهو رجلٌ مِحْجاجٌ، أي جَدِلٌ، والتّحاجُّ: التّخاصُم"[3]، والحُجّةُ: مَا دوفعَ بِهِ الخَصمُ، والجمعُ حُجَجٌ وحِجاجٌ، وحاجَّهُ مُحَاجَّةً وحِجاجًا: نازَعه الحُجّةَ، وحَجَّهُ يحُجُّهُ حَجًّا: غَلَبَهُ على حُجّته. وَفِي الحَدِيث «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى» "[4].

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/49.
(2) الواحديّ، التَّفسير البسيط: 5/337.
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (حجج).
(4) ابن سيده، المحكم: (حجّ).

2) ﴿عِلْمٌ﴾: أصلُ العلم أَثَرٌ بالشَّيْءِ يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ، وَقِيَاسُ العِلْمِ والعَلَمِ وَالعَلامَةِ واحدٌ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذلك قِراءةُ: (وإنه لَعَلَمٌ للساعة) [الزُّخرف: 61][1]، وَتَعَلَّمْتُ الشَّيْءَ، إِذَا أَخَذْتُ عِلْمَهُ[2]، ومعنى قوله: ﴿فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾: ما وَجدوه في كُتبهم، وأَنزلَ عليهم بَيانَه وقِصَّتَهُ[3].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

ها أنتم، يا أهلَ الكِتَابِ، جادَلْتم النَّبيَّ ﷺ، فيما لكم به عِلْمٌ ما؛ وهو خبرُ عيسى -عليه السلام-، فَقامَت عليكمُ الحُجَّةُ بأنَّ منكم مَنْ غَلا في الإفراط إذ قال: إنَّه إلهٌ، ومِنكُم من غَلا في التَّفريط، إذ قال: إنَّه دَعِيٌّ كَذَّابٌ، ولم يكن عِلمُكُم القليلُ به عاصِمًا لكم من الخَطأ في الحُكم عليه، فَلِمَ تُحاجُّون فيما ليس لكم به عِلْمٌ، وهو كونُ إبراهيمَ يهوديًّا أو نصرانِيًّا! أليس الواجبُ عليكم أن تَتَّبِعوا فيه ما يُوحيه اللّه إلى عبده ونبيِّه [4] ﷺ، "إذْ كيف تجادلون في أمر إبراهيم، ولا ذِكْرَ لِدِينه وشريعته في كتبكم؟! من أين علمتم أنّه كان يهوديًّا أو نصرانيًّا؟! إنّ اللّه يعلم حقيقة ما تنازعتم فيه، أمّا أنتم فلا تعلمون من هذا شيئًا"[5].

اللـه أعـلـم من كـــلّ مـحـاجـجٍ مـارق، ليس له علمٌ بالحقائق

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلَالَاتُ التَّرْكِيبِ ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾:

إنَّ الهاءَ المُكرَّرةَ في قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ هي هاءُ التَّنبيهِ، وتَكرارُها في مَوضعٍ واحدٍ إيماءٌ إلى غَرابة ما هم عليه،

مَا عَلَيْهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى مُبَايِنٌ لِمَا يَقْتَضِيهِ النَّظَرُ الْعَقْلِيُّ

(1) قَرَأَ ابنُ عبَّاس وأبو هريرة وقَتَادة ومالك بن دينار والضَّحاك: (وإنه لَعَلَمٌ للساعة) بفتح العين واللَّام، أي: أمارةٌ وعلامةٌ. الثَّعلبيّ، الكشف والبيان: 23/472.

(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (علم).

(3) الواحديّ، البسيط: 5/337.

(4) رضا، تفسير المنار: 3/271.

(5) القطّان، تيسير التّفسير: 1/202.

ومجافاتِه لكلِّ تفكيرٍ ولكلِّ عَقلٍ، وإشارةٌ إلى طُول رُقادِهم أو شِدَّةِ عِنادِهم، وأصلُ الكلام في ﴿هَـٰٓأَنتُمْ﴾[1]: أنتم حاجَجْتُم، وإنَّما يَجيءُ مثلُ هذا التَّركيبِ في مَحَلِّ التَّعجُّبِ والتَّنبيهِ ونحوِ ذلكَ؛ ويُؤكَّدُ ذلك غالبًا باسم إشارةٍ بعدَه، فيقالُ: ها أنا ذا، وها أنتم أُولاءِ أو هؤلاءِ[2].

تَنْبِيهُ الْمُخَاطَبِ بِذِكْرِ مَا يَعْلَمُ عَلَى مَا لَا يَعْلَمُ

وَوَجْهُ التَّنبيهِ بـ ﴿هَـٰٓأَنتُمْ﴾ مع أنَّه لا يُنبَّهُ الإنسانُ على نفسه، وإنَّما يُنبَّه على ما أَغفلَه: أَنَّ التَّنبيهَ وإنْ كان على ما أغفلَه مِنْ حاله؛ فإنَّه يُنبَّه بذِكر ما يَعْلَمُ على ما لا يعْلَمُ، فلذلك خرج التَّنبيهُ على النَّفْسِ؛ أي: على حالِهَا[3].

وقوله: ﴿حَـٰجَجْتُمْ﴾: خبرُ (أنتم) في قوله: ﴿هَـٰٓأَنتُمْ﴾، ويحتمل أن تكون جملةُ ﴿حَـٰجَجْتُمْ﴾ حالًا هي محلُّ التَّعجيب، باعتبار ما عُطفَ عليها من قوله: ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ﴾؛ لأنَّ الاستفهامَ فيه إنكاريٌّ، فمعناه: فلا تُحاجُّونَ.

ويحتَمِلُ أن يكون أصلُ (هَا) في ﴿هَـٰٓأَنتُمْ﴾ همزةَ استفهام، والأصلُ: (آنْتم) ممدودةً؛ إذِ العربُ تجعل مكانَ الهمزةِ هاءً، فعلى هذا التَّقديرِ؛ يكونُ استفهامًا قوله: ﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ معناه: التَّعجيبُ منهم، والتَّوبيخُ لهم[4].

الشُّذُوذُ الْفِكْرِيُّ لِأَهْلِ الْكِتَابِ

وفي قوله: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ إشارةٌ إلى اليهودِ والنَّصارى الّذين قالوا في إبراهيمَ ما قالوا، وقد أُنزلتِ التَّوراةُ والإنجيلُ مِنْ بعده، فهي تَتَضَمَّنُ الأحوالَ الغَريبةَ الّتي كانت منهم، وأنَّها أدَّت إلى شُذُوذٍ عَقْلِيٍّ آخرَ[5].

(1) قرأ الجمهورُ: بإثبات ألف (ها) وبتحقيق همزة (أنتم)، وقرأ قالون وأبو عمرو وأبو جعفر: بإثبات الألف وتسهيل همزة (أنتم)، وقرأ ورش بحذف ألف (ها)، وبتسهيل همزة (أنتم)، وبإبدالها ألفًا مع المدّ، وقرأ قنبل بتحقيق الهمزة بألف وبغير ألف. يُنظر النَّشر: 2/400 - 404، وإتّحاف فضلاء البشر: 224، 225، ويُنظرُ توجيه هذه القراءات في: ابن خالويه، الحجّة في القراءات السَّبع، ص: 110، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 3/273.

(2) البقاعيّ، نظمُ الدُّرر: 4/450، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 3/270، وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3/1263.

(3) الواحديّ، البسيط: 5/338.

(4) ابن الجَزَريّ، النَّشر: 1/401، والبقاعيّ، نظمُ الدُّرر: 4/451 - 452.

(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 3/270، وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3/1263.

قُفْوُ الْإِنْسَانِ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ مِنْ أَسْبَابِ التَّرَدِّي الْعَقْلِيِّ

وقد ذَكَرَ الزَّمخشريُّ أنَّ بعضَ العُلماءِ يرى أنَّ ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ بمعنى (الَّذِينَ)، وأنَّ هذا يُفيدُ أنَّ الّذي أَدّى إلى تردِّيهم العَقْليِّ هو تكلُّمُهُمْ فيما يَعلمونَ وفيما لا يَعلمونَ[1].

دِلَالَةُ نِسْبَةِ الْعِلْمِ إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ فِي قَوْلِهِ: ﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾:

مِنَ الْمُهَالِكِ عَدَمُ عَمَلِ الْمَرْءِ بِعِلْمِهِ أَوِ ادِّعَاؤُهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْهُ

ذهبَ الرَّازيُّ رحمه الله إلى احتمال أنَّ الله تعالى لم يَصِفْهُم بالعِلْم حقيقةً، وإنَّما أراد أنَّهم يَستَجيزُون محاجَّتَه فيما يدَّعون عِلْمَه، فكيف يُحاجُّونه فيما لا عِلمَ لهم به الْبَتَّةَ؟! ثمَّ حَقَّقَ ذَلك بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ كيفَ كانت حالُ هذه الشَّرائع في المُخالفة والموافقة، ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ كيفيَّةَ تلك الأحوال[2]، فيكون قوله في مقطَعِ الآية ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ مبيِّنًا للمرادِ في قوله: ﴿فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾.

دِلَالَةُ حَذْفِ مَفْعُولِ الْعِلْمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾:

الْحِقْدُ وَالْحَسَدُ يَحُولَانِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَبَيْنَ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ

خَتَمَ اللهُ سبحانه وتعالى ببيانِ عِلْمِه تعالى المُؤكَّد، فقرَّرَ العِلْمَ المُطْلَقَ له، ونفَى عنهم العِلْمَ في هذا المقام، وقد قرَّر سبحانَه أنَّهم لَا يعلمون، فقال: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، فهم لا يَعلمون حالَ إبراهيمَ عليه السلام، ولا مَنْ هو أهلٌ للرِّسالة؛ وليس من شأنهم أَنْ يعلموا؛ لأنَّ أحقادَهم تَحُولُ بينَهم وبين أنْ يُدركوا الّذي عليه مَنْ يُخالفُهم، فإنَّه لَا شيءَ كالحِقْدِ والحَسَدِ يَحولُ بين المرءِ والإدراكِ السَّليمِ والعِلْمِ الصَّحيحِ[3].

قال أبو حيَّانَ: "وهذا استدعاءٌ لهم أَنْ يَسمعُوا، كما تقولُ لمَنْ تُخبرُه بشيءٍ لا يعلمُه: اسمَعْ؛ فإنِّي أَعلَمُ ما لا تَعْلَمْ[4]".

(1) أبو السُّعود، إرشادُ العقل السَّليم: 2/48، وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3/1263.
(2) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 8/254.
(3) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3/1263 - 1264.
(4) أبو حيَّان، البحر المحيط: 3/201.

وفي حذف مفعولِ العلم من الفعلينِ ﴿يَعْلَمُ﴾ و﴿تَعْلَمُونَ﴾ إيماءٌ إلى العموم؛ فهم لا يعلمونَ شيئًا على الحقيقةِ، وإن كان عندهم شيءٌ من العلمِ؛ فإنَّهما عندهم صورتُهُ الظَّاهرة لا حقيقتُهُ؛ لعدمِ جريانِهم وفق ما يقتضيه العلمُ من الانقيادِ إلى شرع اللّه تعالى وتصديق رسوله ﷺ واتِّباعه، وحذفُه من ﴿يَعْلَمُ﴾ إشارة إلى عموم علم اللّه تعالى؛ فلا تخفَى عليه خافيةٌ.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

العِلْم والمَعرفة:

أنَّ المعرفةَ أخصُّ من العِلم؛ لأنَّها عِلمٌ بعَين الشَّيء مُفصّلًا عمَّا سِواه، والعِلمُ يكونُ مُجمَلًا ومُفصّلًا[1]، أو أنَّ المعرفةَ أخصُّ بالمَحسوسات والمعاني الجزئيّةِ، وأنَّ العِلمَ أخصُّ بالمعقولات والمعاني الكليَّةِ[2]؛ لذا عبَّرَ في الآية بلفظِ العِلمِ، وعَدَلَ عن لفظ المعرفةِ.

وفي الصّحاح، وفي كثير من أمهات اللّغة " أنّ العلم والمعرفة والشّعور كلّها بمعنًى واحدٍ، وأنّه يتعدّى بنفسه في المعنى الأوّل، وبالباء إذا استعمل بمعنى (شعر)، وهو قريب من كلام أكثر أهل اللّغة، والأكثر من المحقّقين يفرّقون بين الكلّ، والعلم عندهم أعلى الأوصاف؛ لأنّه الّذي أجازواْ إطلاقه على اللّه تعالى، ولم يقولواْ: (عارفٌ) في الأصحّ[3].

(1) العسكريّ، الفُروق اللُّغويَّة، ص: 107.
(2) التَّوحيديّ، المقابسات، ص: 272، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (عرف).
(3) الزَّبيديّ، تاج العروس (علم).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»